القوة الخفية

محمود سالم

القوة الخفية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

القوة الخفية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٤٦٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مربع الرعب	١١
الوحش الخرافي	١٥
نصيحة على فوهة بندقية	١٩
خرج ولم يعد	٢٥
شيطانان في الجبل	٣١
عبقرية شيطانية	٣٧
تفضل يا سيدي بالتفتيش	٤٣
لأول مرة معًا	٤٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مربع الرعب

في قاعة الاجتماعات الرئيسية، جلس الشياطين الـ «١٣» ينظرون إلى شاشة كبيرة من الزجاج، ثم أطفئت الأنوار عدا بعض الأنوار الحمراء الصغيرة التي بدت في الظلام الكثيف، كأنها عيون شرِّيرة ترقب الاجتماع، ثم أضيئت الشاشة الزجاجية وبدَت عليها خريطة واضحة لجنوب الجزيرة العربية وشاطئ أفريقيا الجنوبي الشرقي حيث حدود الصومال وإثيوبيا …

كان واضحًا على الخريطة بوغاز «باب المندب»؛ وهو المَمر المائي الذي يفصل قارة آسيا عن قارة أفريقيا في هذه المنطقة، وهذا البوغاز يصل بين خليج عدن والبحر الأحمر.

وارتفع صوت رقم «صفر» العميق يتحدَّث: يُهمُّني أن ترقبوا هذا الجزء من العالم؛ فمن المرجح أنكم ستخوضون هناك معركة هامَّة من معاركم ضد أعداء الأمة العربية.

وصمت رقم «صفر» لحظات ثم مضى يقول: وعلى كلِّ حالٍ فسوف توزع عليكم خرائط لهذه المنطقة تبين لكم بوضوح تفاصيل أكثر مما تُبيِّنها هذه الخريطة، والآن لاحظوا ما يحدث.

وشاهد الأصدقاء سفينة صغيرة تتحرَّك على الشاشة قادمة من المحيط الهندي لتدخل خليج «عمان»، كانت السفينة تسير في خطٍّ مُستقيم، وفجأة انحرفت وأسرعت لتصطدم بشاطئ الصومال قرب ميناء «بربرة» ثم تتحطَّم.

وسمعوا صوت رقم «صفر» يقول: مرةً أخرى لاحظوا جيدًا ما يحدث.

ومرةً ثانية شاهَدُوا سفينةً أخرى تسير بمحاذاة شاطئ اليمن الجنوبي قرب مجموعة جزر «خوريا موريا»، وفجأة غيَّرت السفينة اتجاهها، واندفعت إلى صخور الشاطئ وتحطَّمت.

وساد الصمت، وعاد رقم «صفر» يقول: مرةً ثالثة لاحِظُوا ما يحدث.

شاهد الشياطين طائرة صغيرة تتحرَّك فوق الخريطة الزجاجية، ثم فجأةً غيرت اتجاهها، وسقطت في مياه البحر في خطٍّ مُستقيم! …

وأضيئت الأنوار تدريجيًّا، وقال رقم «صفر»: لن أسألكم عن ملاحظاتكم، فما شاهَدتُموه واضح جدًّا، وكان موضع دراسة واسعة في مراكز المعلومات العسكرية في الدول العربية، وليست هذه هي كل الأحداث التي وقعت في هذه المنطقة … فكثير من السفن والطائرات كانت تَسير سيرها المعتاد وفجأةً غيَّرت اتجاهها وارتطمَت بالأرض أو سقطت في الماء دون أن يَدريَ أحدٌ ما السبب، وبعد أبحاث مُستفيضة خرجنا بنتيجة واحدة؛ هي أن قوة غامِضة موجودة في مكان ما من هذه المنطقة تستطيع جذب السفن والطائرات فجأةً وتسقطها! …

قالت «إلهام»: هل هي صواريخ؟

رقم «صفر»: لا، لقد فحَصنا حطام الطائرات والسفن فلم نجد آثار تدميرٍ بواسطة سلاح … سواء صواريخ موجَّهة أو قذائف مدفعية … إن ما يَحدث شيء لا يُمكن تفسيره إلا تفسيرًا غامضًا مثله، ولهذا سمَّيناه «القوة الغامضة».

رشيد: هل يُمكن أن تُوضِّح يا سيدي ماذا تقصد بالقوة الغامضة؟

رقم «صفر»: ليس عندي تفسير لها، سوى أن نتصوَّر مثلًا قوة مغناطيسية هائلة تستطيع جذب طائرة وهي على ارتفاع ألف قدم؛ لتُسقطَها في الماء أو على الأرض، أو تستطيع جذب سفينة ضخمة وتشدها إلى الصخور لتتحطَّم، دون أن يتمكَّن مَن فيها من السيطرة عليها.

أحمد: إنه شيء خارق للعادة؟

رقم «صفر»: بالضبط، شيء لا يُمكن تصوره، إلا كما قلتُ لكم، وقد قمنا بالبحث في هذه المنطقة، ولكنَّنا لم نعثر على أثر لهذه القوة الغامضة … ولهذا جاء دوركم …

ثم استكمل رقم «صفر» حديثه قائلًا: هناك نقطة هامَّة أودُّ أن ألفت النظر إليها، هي أنَّ هذا النوع من الكوارث الغامضة قد حدث خلال السنوات الأخيرة في مثلَّث برمودا، ويُطلق هذا الاسم على المنطقة التي تقع بين «فلوريدا»، و«برمودا»، و«بورتوريكو»، عند الساحل الشرقيِّ للولايات المتَّحدة؛ فقد أثار انتباه العلماء لغز الاختفاء الغامض للسفن والطائرات على مدى أعوامٍ عديدة في منطقة مثلَّث «برمودا» هذه.

زبيدة: فعلًا، إنني أذكر هذا … لقد نشرَت الجرائد مؤخَّرًا شيئًا عن هذا الموضوع.

رقم «صفر»: بالضبط، وقد طلبتُ أن تُوضع البحوث التي تمت حول هذه الظاهرة الغامضة تحت تصرفكم لعلها تفيدكم، وأفضل تفسير قُدِّم حتى الآن لهذا اللغز العجيب هو التفسير الذي قدمه العالم السوفييتي «يلكن»، وقد نشر «يلكن»، بحثه في مجلة «أزفستيا» السوفييتية، وقد ربط العالم السوفييتي بين هذه الحوادث الغامضة التي راحت ضحيتها عشرات السفن والطائرات التي اختفَت دون أن يُعثَر لها على أثر، وبين حركات الأرض، والقمر والشمس!

قالت «إلهام»: هل اختفت تمامًا؟

رقم «صفر»: نعم ... ولم يبقَ منها ما يُمكن أن يُلقيَ ضوءًا على هذه الأحداث.

إلهام: وما هو التفسير؟

رقم «صفر»: قال العالم السوفييتي: إنَّ حركات هذه الكواكب (الأرض والقمر والشمس) أدَّت إلى إحداث اضطرابات مغناطيسية تحت سطح المحيط، مما تسبَّب في انحراف خط سير الطائرات وسقوطها، وخط سير السفن وغرَقِها، وقد نشرت جريدة الأخبار في «القاهرة» ملخصًا لهذه الظاهرة حسب تفسير العالم السوفييتي.

بو عمير: وماذا نستطيع أن نفعل أمام الشمس والقمر والأرض؟!

ابتسم الشياطين، فقال رقم «صفر»: إننا نُريد أن نتأكَّد من سبب ظهور هذه الأحداث عند باب المندب، هل هي ظاهرة طبيعية أم من صنع البشر؟!

نظر الشياطين بعضهم إلى بعض؛ فهذه أول مرة يُطلَب منهم مواجهة قوة ليسَت محدودة، لا في المكان ولا في الأشخاص، شيء غير معروف، قوة خارقة تستطيع تحطيم سفينة، وإسقاط طائرة دون أن يَعرف أحد مواصفاتها.

عاد رقم «صفر» يقول: كما لاحظتم، إنَّ الحوادث التي وقعت كلها كانت في هذه المنطقة، ثم ظهر مؤشر رسم دائرة أحاطت بمنطقة واسعة تقع بين جزر «خوريا موريا»، أو «الحلانيات»، كما يُسمِّيها العرب شرقًا، و«زيلع» في «الصومال» غربًا ... و«مقديشيو» في «الصومال» جنوبًا ... و«باب المندب» في البحر الأحمر شمالًا، على شكل مربَّع ...

وقال رقم «صفر»: وهي منطقة واسعة، ولهذا يُمكن اعتبار جزيرة «سقطرى»، هي المركز منها، ولهذا فسوف تُقسَّمون إلى ثلاثة أقسام؛ مجموعة في «اليمن»، ومجموعة في «الصومال»، ومجموعة سيكون مركزها جزيرة «سقطرى»، والمجموعة الأخيرة هي التي تتولَّى القيادة والتوجيه ...

قال «عثمان» مُتسائلًا: وما هو المطلوب منَّا بالضبط؟

رد رقم «صفر»: رصد هذه القوة الغامضة، والإسراع إلى مكان الحوادث التي تُسبِّبها، ومُحاوَلة تفسيرها، وبالطبع فإن الهدف النهائي هو معرفة مكان هذه القوة وتدميرها إذا أمكن ... وسيكون تحت تصرُّفكم أيُّ نوع من الأسلحة ترونه مُناسبًا، وبعض قوارب سريعة للمرور وأجهزة لا سِلكي للاتصال.

أحمد: لي ملاحظة، هي أنَّ الحوادث التي وقعت في مثلث الرعب عند «برمودا»، لم يبقَ من آثارها شيء، ولكن في الحالة التي أمامنا فإن هناك آثارًا تبقى من السفن.

أجاب رقم «صفر»: هذه ملاحظة صحيحة، وقد يكون السبب أنَّ الحركة المغناطيسية ليست في قاع المحيط فقط، ربما على الشاطئ أيضًا.

الوحش الخرافي

خلال ذلك اليوم، وفي صباح اليوم التالي عقد الشياطين الـ «١٣» مجموعة من الاجتماعات التنظيمية؛ لتحديد المجموعات والتسليح ووسائل الاتِّصال بشفرة جديدة، وقد تمَّ توزيع الشياطين إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: في جزيرة «سقطرى»؛ وتضمُّ: «أحمد» و«إلهام» و«بو عمير» و«عثمان» و«زبيدة».

الثانية: في «اليمن»؛ وتضمُّ: «قيس» و«رشيد» و«ريما» و«مصباح».

الثالثة: في «الصومال»؛ وتضمُّ: «هدى» و«فهد» و«خالد» و«باسم» ...

وقامت الإدارة في المقرِّ السرِّي بتدبير وسائل السفر. استعدَّ الشياطين للسفر، وقبل أن يُغادروا المقر بنحو ساعة، عقَد رقم «صفر» اجتماعًا أخيرًا معهم؛ فقد كانت هناك أخبار جديدة.

وبملابس السفر أحاطوا بمائدة الاجتماعات، وسمعوا صوت رقم «صفر» العميق وهو يتحدَّث إليهم قائلًا: أتمنَّى أن تُنجزوا هذه المهمة، وإن كنتُ أعتقد — خاصة بعد أن حاولت أجهزة كبيرة مسئولة أن تصلَ إلى طبيعة هذه القوة الغامضة وفشلت، أعتقد أنها ستكون مهمَّةً صعبة ... ولكن ربما كان جزءًا من أهميتها أنها تمرينٌ لكم على مواجهة شيء غير محدد، وإن كانت له نتائج محدَّدة.

قال «عثمان» ضاحكًا: إنها يا سيدي تبدو كقضية فلسفية!

رد رقم «صفر»: إن الفرض الفلسفي كثيرًا ما يكون نظريًّا، ولكنه يتحقَّق في الواقع إذا توفرت شروط معينة، ولكن دعونا الآن من الفلسفة؛ ففي الأيام الثلاثة الماضية وصلتْني عدة تقارير عن الأحداث الغريبة التي تقع في مربع الرعب الذي حدَّثتُكم عنه؛ فقد شاع بين الأهالي في هذه المنطقة وجود وحش مائي خرافي هو الذي يقود السفن إلى حَتفِها، ويجذب

الطائرات من الجو لتَغرق في الماء. ورغم ما يبدو في هذا التفسير من سذاجة، فإنني أقترح عليكم — وأنتم في مواقع الأحداث — أن تسألوا عن السر في هذا التفسير العجيب؛ فأحيانًا ما يكون وراء الأسطورة الشعبية حقيقة علمية، اسألوا عن مصدر هذه الشائعة، فقد يكون أحد الأهالي قد شاهد شيئًا …

وهناك تقرير آخر يُشير إلى أنَّ كل السفن والطائرات التي سقطت أو تحطَّمت بواسطة القوة الخفية كانت وحدها؛ أي إنَّ هذه القوة لا تتعرَّض لسفينة تسير في قافلة، أو طائرة ضمن مجموعة طائرات، وواضح طبعًا أن القوة الخفية هذه لا تُريد شهود رؤية لما تفعل!

قال «أحمد» معلِّقًا: وهذا يعني يا سيدي أنها قوة عاقلة، ومدبِّرة أيضًا.

رقم «صفر»: بالضبط … إلا إذا كان الانفراد بالطائرة أو السفينة مجرَّد صُدفة، وهذا على كل حال جزء من مهمَّتكم التي لن أُعطِّلكم عنها أكثر من هذا وشكرًا.

وتحرَّك رقم «صفر» مُبتعدًا دون أن يراه الشياطين … ولم يكدْ وقع خطواته يَختفي حتى قفز الشياطين من أماكنهم، ثم تبادلت كل مجموعة مع المجموعة الأخرى التحيات والتمنيات، وبعد دقائق كانت السيارات الحمراء المُميزة للشياطين تخرج عبر السراديب الصخرية التي تفتح وتغلق إلكترونيًّا.

وشهدت الصحراء المُترامية، والبقعة المُوحشة التي يقع بها المقرُّ السري، شهدت ثلاث سيارات، كل سيارة تحمل مجموعة وتنطلق إلى مكان قريب تختفي فيه السيارات الحمراء، وتظهر سيارات عادية تحمل الشياطين إلى المطار، ومنه استقلَّت كل مجموعة طائرة إلى وجهتها.

بعد رحلة طويلة استغرقت ٥ ساعات هبطت الطائرة بالمجموعة الأولى: «أحمد» — «إلهام» — «بو عمير» — «عثمان» — «زبيدة» في مطار عدن … ثم استقلُّوا سيارة إلى شاطئ المحيط، وفي نقطة معيَّنة تمَّ الاتفاق عليها أثناء وضع الخطط وجدوا قاربًا بخاريًّا ضخمًا يُشبه المُدمِّرة واقفًا يتألق تحت شمس الغروب … وعندما اقتربوا منه وجدوا اسمه مكتوبًا بالنحاس اللامع «صقر البحر»، وابتسمت «إلهام» وقالت: أرجو ألا يكون «صقر البحر» ضحية للقوة الغامضة، فإنه يبدو مُغريًا!

صعدوا سريعًا إلى «صقر البحر»، وأخذوا يتجوَّلون في أنحائه، وقال «أحمد» مبتهجًا: سرعته ١٢ عقدة بحرية في الساعة، إنه شديد السرعة.

وقاموا بتغيير ملابسهم بما وجدوه في دواليب «صقر البحر» من ملابس بحرية، ثم جلس «أحمد» إلى كابينة القيادة وتولى «عثمان»، و«بو عمير» إدارة محرِّكات القارب …

وعندما مالت الشمس للمغيب كان «صقر البحر» يشقُّ الأمواج مسرعًا إلى حيث مقر الشياطين الخمسة، جزيرة «سقطرى»، وكانت المعلومات التي لديهم عنها، أنها جزيرة للصيادين، مساحتها ١٥٠ميلًا مربعًا، ويسكُنُها نحو ٢٠ ألفًا من السكان، وقد حدَّدَت لهم الخريطة التي وجدوها في «صقر البحر» المكان المناسب للرسو.

في صباح اليوم التالي استيقظت مجموعة الشياطين الخمسة بقيادة «أحمد» ووقفوا جميعًا عند حاجز القارب «صقر البحر» يتأمَّلون المنطقة، كانت الجبال العالية تحيط بالخليج الصغير الذي آوى إليه القارب تُخفيه عن العيون من ناحية وتقيه من تقلُّبات الجو وارتفاع الأمواج من ناحية أخرى.

وقالت «إلهام»: لم أرَ في حياتي شيئًا أجمل ممَّا أرى الآن.

وأيَّدها «بو عمير» و«زبيدة» و«أحمد» أما «عثمان»، فقد كان ينظر إلى الجبال صامتًا، ثم قال لـ «زبيدة»: أرجو يا «زبيدة»، أن تُحضِري نظارة مكبِّرة من الداخل.

أحمد: هل تُريد أن ترى أبعد مما ترى الآن؟

عثمان: لا ... إنني أريد أن أتأكَّد من شيء ما يَلمع بين صخور الجبال.

وعادت «زبيدة» بالمنظار، ووضعه «عثمان» على عينَيه، ثم أخذ يُدير العدسة حتى ثبتَت عند بُعد معيَّن، وأخذ ينظر بإمعان ثم قال: هناك من يُراقبنا خلف الصخور.

أحمد: ما شكله؟

عثمان: إنَّني لا أرى منه إلا جزءًا من رأسه، وهو يلبس «الغطرة» الحمراء، وهي لباس الرأس المعروف في هذه المنطقة.

أحمد: لعلَّه أحد الصيادين، يُشاهد قاربًا غريبًا فيُريد أن يراه.

عثمان: إنَّ صيادًا عاديًّا لا يُمكن أن يكون معه بندقية سريعة الطلقات من أحدث طراز، إنني أرى فوهة البندقية على كتفه!

بو عمير: هل تستطيع أن تُحدِّد مكانه بالضبط؟

عثمان: لماذا؟

بو عمير: سأذهب لأرى ما هي حكايته؟ سأقفز إلى الماء من الجانب الآخر للقارب بحيث لا يراني، وعندما يكون مشغولًا بمراقبتِكم سأكون أنا قد وصلت إليه ...

عثمان: هل ترى ذلك الجانب من الجبل الذي يشبه رأس الحصان في الاتجاه العكسي لأشعة الشمس؟!

بو عمير: نعم.

عثمان: عند النقطة التي يلتقي فيها رأس الحصان بالجبل هناك نقطة حمراء تشبه الوردة البعيدة.

بو عمير: أراها!

عثمان: إنها «الغطرة» الحمراء التي يضعها الرجل على رأسه.

اكتفى «بو عمير» بهذه المعلومات وتحرَّك للسير، فقال «أحمد»: لا نُريد متاعب جانبية يا «بو عمير»، لقد جِئنا من أجل هدف أكبر.

بو عمير: إنني لن أقتله يا «أحمد»، كل ما هنالك أنني سأسأله لماذا يراقبنا؛ إذ ربما يكون هو نقطة البداية للوصول إلى حقيقة «القوة الخفية».

اختفى «بو عمير» داخل القارب، فلبس «مايوه»، ووضع في وسطه خنجرًا، وهو مشهور باستخدامه، ثم قفز إلى المياه من الجانب الآخر للقارب، وأخذ يسبح بمهارة حتى اقترب من الشاطئ، ثم لاحظ أن شيئًا قد أضاء.

نصيحة على فوهة بندقية

أسرع «بو عمير» يقفز مُختفيًا خلف الصخر، حتى لا يكون هدفًا واضحًا لمن يكون مُختفيًا في شقوق الجبل المتعرِّجة، وكان يفكر في الشيء الذي أضاء في جانب الجبل، ماذا يكون؟ ومن خلفه؟ وهل لهذا كله علاقة بوصولهم إلى جزيرة «سقطرى» ...

وأخذ يقفز بخفة الغزال من صخرة إلى صخرة حتى وجد نفسه في قلب الجبل الساكن، ونظر إلى المياه من بعيد والقارب يقف في الخليج، وتصور أن القوة الغامضة، قد تستطيع في لحظة واحدة أن تُحيل القارب الكبير القوي إلى حطام، فاندفع إلى مكان الرجل، وبعد نحو نصف ساعة كان تقديره أنه قريب جدًّا منه، فأخذ يتنصَّت وينظر في مختلف الاتجاهات لعله يرى «الغطرة» الحمراء، وفجأةً أحسَّ بخطر مُبهَم يحُوم حوله فاستدار، ووجد الرجل يجلس خلفه موجهًا إليه بندقيته ...

كان الرجل يجلس في فجوة مُحكمة، وقد اختفى تمامًا عن الرؤية، وتأكَّد «بو عمير» أن «أحمد» وبقية الشياطين لا يَرونه الآن ولا يرون الرجل، ونظر «بو عمير» إلى العينين الضيقتين الشبيهتَين بعينَي الثعبان، ثم قال مُتظاهرًا باللامبالاة: صباح الخير أيها الأخ!

لم يردَّ الرجل، وأخذ يمضغ شيئًا أخضر كالبرسيم بين شدقَيه، ولاحظ «بو عمير» أنه كلما تحرك حرك الرجل فوهة البندقية إلى صدره، فعاد يقول: لا أفهم لماذا تُوجِّه بندقيتك إلى صدري ... إنني صديق!

لم يردَّ الرجل، وأحسَّ «بو عمير» ببعض الاضطراب، فماذا يريد هذا الرجل الصامت منه؟ وتحسَّس بطريقة لا شعورية الخنجر الذي معه، وسرعان ما كانت استجابة الرجل لهذه الحركة؛ فقد وضع يده على زناد البندقية ... وسمع «بو عمير» تكة خفيفة عرف منها أن السلاح أصبح مُعدًّا للإطلاق عند أيِّ ضغط على الزناد.

وقف «بو عمير» حائرًا أمام الرجل، ماذا يفعل؟! إنه لا يردُّ، وهو يخشى إنِ استدار للعودة أن يُطلِق عليه الرجل الرصاص من الخلف، فوقف صامتًا، وأخيرًا نطق الرجل قائلًا: عودوا من حيث أتيتم!

تنفَّس «بو عمير» الصُّعَداء؛ فأخيرًا تحدَّث الرجل، وردَّ «بو عمير»: إننا أصدقاء جئنا لبحثٍ عِلمي عن تجمُّعات الأسماك!

ساد الصمت لحظات ثم قال الرجل: عودوا من حيث أتيتم.

ثم رفع البندقية إلى كتفه، ومضى يَمضغ الأعواد الخضراء، وفي عينَيه نظرة ثاقبة، ولم يكن أمام «بو عمير»، إلا أن يستدير ويمضي، ولم يكد يُدير ظهره للرجل حتى أحسَّ أن الرصاصة سوف تَنطلِق في هذه اللحظة؛ فقد كان هدفًا ممتازًا لطلقة قاتلة ... ولكنه مضى ينزل الصخور دون أن تنطلق الرصاصة. حتى إذا وجد نفسه بجوار مُنعطَف في الصخور أسرع يتوارى خلفه، وأحسَّ بغضبٍ شديد يجتاحه، هل من المنطق أن يعود إلى القارب دون أن يحصل على أية معلومات ذات قيمة من الجزيرة؟! إن الشياطين لا يَعبثون، ولا يَهرُبون، ولا يُهمهم تهديدات أي مخلوق ... وتذكر الوميض الذي رآه عندما نزل الشاطئ، وقرَّر أن يبحث عن مكانه، ونظر إلى حيث كان يقف عندما نزل الجزيرة ... وخُيِّل إليه أنه يرى من بعيد جدًّا شبح سفينة، ولكنه لم يكن متأكدًا.

سار «بو عمير» سريعًا في الاتجاه الذي حدَّده لمصدر الضوء المفاجئ الذي شاهده من شاطئ الجزيرة، وبينما هو يمدُّ يدَه ليُمسِك بحافَّة صخرية، لمسَت شيئًا جعله يتوقف، كان هناك سلك كهربائي غليظ أُخفيَ بمهارة بين الصخور، ودُهش «بو عمير» لوجود مثل هذا السلك بين الصخور الجرداء، ولكنه أحسَّ بسرور خفي، فهناك شيء في الجزيرة.

ومضى يتتبع السلك الذي كان يَظهر أحيانًا ثم يختفي حتى وجد «بو عمير» نفسه قد اقترب من أعلى قمة في الجزيرة دون أن يدري، ولاحظ على يساره فتحة عميقة، نظر فيها، فوجد أنها تُطلُّ على البحر مباشرة، وشاهد من بعيد زبد المياه الأبيض، وتوقف لحظات يلتقط أنفاسه ...

وفي هذه اللحظة سمع صوتًا مُتقطِّعًا يشبه الصوت الذي تُصدرُه آلة كاتبة من طراز كبير، وأخذ يستمع في انتباه، وبعد لحظات كان متأكدًا من مصدر الصوت ... ومن أنها ليست آلة كاتبة، ولكنها آلة تتحدَّث بشفرة خاصة؛ فقد كانت الدقات والوقفات تمضي بأسلوب خاص، ورغم تدريب الشياطين على فكِّ الشفرة، فإن «بو عمير» لم يستطع أن يفهم اللغة التي تتحدَّث بها الآلة ...

وأخذ يسير مُحاذرًا اتجاه مصدر الصوت، وفي لحظة كالبرق لمح — وهو يمر بأحد المنحنيات — رجلين يقفان ومع كلٍّ منهما بندقية مثل التي شاهدها مع الرجل ذي الغطرة الحمراء ... ورفع أحد الرجلين بندقيته ليُطلقها، وبسرعة البرق كان خنجر «بو عمير» يَطير في الهواء ويستقرُّ في ذراع الرجل الذي صرخ من الألم ثمَّ استدار «بو عمير» وقفز في الهواء ... وسمع طلقة رصاص تمرُّ بجانبه، ثم ألقى بنفسه في قفزة رائعة عبر الفتحة الواسعة التي تؤدي إلى البحر، ووجد نفسه يسبح في الهواء فترةً تزيد على الدقيقة، وعرف أنه ينزل من ارتفاع شاهق جدًّا، وأن المياه إذا لم تكن عميقة بما يكفي فسوف يتحطَّم على قاع البحر، ثم لمست ذراعاه المبسوطتان المياه، وأحس بألم وهو يمرق في المياه نازلًا في العمق، وظل يهبط ويهبط حتى فقد قوة اندفاعِه وأخذت حركته تُبطئ، فدار في حركة لولبية، وأخذ يشق طريقه إلى سطح المياه.

عندما صعد «بو عمير» إلى السطح لم يُصدِّق عينيه ... كانت قمة الجبل التي قفز منها شاهقة حتى بدا له أنها تُطاول السحاب، وعجب كيف نزل سليمًا إلى المياه ... ثم أدار رأسه وأخذ يسبح متجهًا إلى «صقر البحر»، وكان متأكدًا أن بقية الشياطين يَرقبونه وهو قادم، وعندما اقترب وجد «أحمد» يُمسك بالمنظار المكبر، فأشار له. وبادَلَه «أحمد» الإشارة، وبعد دقائق كان على سطح القارب وأخذ يَستجمِع أنفاسه، وقد أحاطت به الشياطين.

قال «أحمد»: لقد شاهدتُك وأنت تقفز من قمة الجبل، لقد كانت قفزة رائعة يا «بو عمير» تستحق عليها التهنئة، ولكن لماذا قفزت؟

رد «بو عمير»: لأنقذ حياتي.

لم يُعلِّق أحد من الشياطين على ما قاله «بو عمير» ... وانتظروا حتى يهدأ ويروي لهم تفاصيل ما جرى في الجبل، وعندما انتهى من حديثه قالت «إلهام»: نُقطة مراقَبة في الجبل، شيء مدهش!

عثمان: لعلها نقطة مراقبة حكومية!

أحمد: في مثل هذه الحالات. لا أعتقد أن هذه النقطة لها علاقة بالحكومة؛ لأنه إذا كانت نقطة المراقبة حكومية فإنَّ الاستقبال لا يكون بهذا الأسلوب، ومن الواجب وجود لافِتة تُوضِّح أنه ممنوع الاقتراب من هذا المكان.

عثمان: معك حق؛ فقد حاوَلوا قتل «بو عمير» على الفور.

بو عمير: ولا تنسوا تحذير الرجل الذي كرَّره مرتين عودوا من حيث أتيتم. إن هذا التحذير يعني أشياء كثيرة، منها أننا قد نتعرَّض لمُحاولة الاعتداء علينا في أي وقت.

زبيدة: إن تسليح القارب جيد جدًّا، مدفع عيار ٦ بوصة، مدافع رشاشة، صواريخ، عدا الأسلحة الخفيفة.

بو عمير: إنها حقًّا قلعة مسلحة، ولكن هناك ما هو أقوى.

وقام «بو عمير» إلى داخل «صقر البحر»، حيث اغتسل وغير ثيابه، ثم عقد الشياطين اجتماعًا، تقرَّر على إثره أن ينزل «أحمد» و«عثمان» في قارب لزيارة الجزيرة والتعرف على نوع الحياة فيها، والسؤال عن أي نشاط مريب يدور على أرضها أو حولها خاصة ظاهرة «القوة الخفية».

وسرعان ما نزل «أحمد»، و«عثمان» في قارب اتجه إلى شاطئ الجزيرة، وعندما اقترب الاثنان من الشاطئ استقبلهما عدد من المتسكِّعين، وصعد «أحمد» إلى البر وسأل أحد الواقفين: هل هناك أية «مقاهٍ» هنا؟

رد الرجل: نعم ... هناك عدة مقاهٍ، أكبرها مقهى الجزيرة.

وأشار الرجل إلى مقهًى كبير نسبيًّا، واتجه «أحمد» و«عثمان» إليه، واتَّخذا مقعدَين، وطلبا كوبين من الشاي، وانتهز «أحمد» فرصة وجود رجلٍ من ماسِحي الأحذية، وأخذ يُجاذبه أطراف الحديث، فسأله عن سكان الجزيرة، وأجاب الرجل إنهم جميعًا من صيادي الأسماك.

أحمد: هل لهؤلاء الصيادين شيخ يُمكن الحديث معه؟

رد الرجل: نعم؛ إنه الشيخ «غزاوي»!

أحمد: وأين نستطيع أن نقابله؟

الرجل: إنه يُقيم في منزل صغير، فإما أن تجده هناك وإما أن تجده في عشَّته.

أحمد: وأين المنزل؟ وأين العشَّة؟

أشار الرجل إلى يساره قائلًا: المنزل الأخضر الصغير هناك، وأمامه مدفع قديم.

ثم أشار إلى امتداد الشاطئ بيده اليُمنى، وقال: والعشة على الشاطئ على بُعد نحو كيلو متر من هنا.

شكر «أحمد» الرجل ونفحَه بقشيشًا سخيًّا، ثم أشار إلى «عثمان»، وقال له: هيا بنا؛ ففي الأغلب سوف نجد شيخ الصيادين في عشَّته في مثل هذه الساعة من النهار، وسارا معًا، وقال «عثمان» وهو ينظر في اتجاه البحر: إنني لا أرى قاربنا من هذه الناحية.

رد «أحمد»: إنه مُختفٍ خلف الجبال الحمراء.

واستمرا يسيران وقابَلا أكثر من شخص في الطريق، وسألا عن العشة، حتى أشار إليها أحد الصيادين، وأكَّد أن الشيخ «غزاوي» موجودٌ بها!

اقترب الصديقان من العشة وكان يقف أمامها رجلان حياهما «أحمد» ثم سأل عن الشيخ غزاوي، فأشارا إلى داخل العشة.

دخل «أحمد» و«عثمان» إلى العشَّة، شاهدا رجلًا قصير القامة شديد النحافة يَرتدي سروالًا أبيض وعليه سُترة صفراء بأزرارٍ نُحاسية، وعلى رأسه قبَّعة من الفلِّين، وكان مزيجًا غريبًا من المواطن العادي و«الخواجة»، وكان مُمدَّدًا على خشبة مُستنِدًا على مسند من الخشب، وأمامه نرجيلة من النحاس مُغطَّاة بالصوف الأحمر، وضع طرفها في فمه وأخذ يُدخِّن، وقد بدا شاردًا، وكأنه يفكر في عالم بعيد لا يراه أحد سواه.

ألقى عليه «أحمد» و«عثمان» التحية، فردَّ بفتور ثم نظر إليهما مُستطلعًا، فقال «أحمد»: نحن أعضاء في بعثة علمية، وقد جئنا للبحث عن تجمُّعات السمك في هذه المنطقة، ونريد أن نلقي عليك بعض الأسئلة.

فقال الرجل: لا بدَّ أن تَحصُلا على إذن من السلطات المختصَّة قبل القيام بأي عمل.

سأله «أحمد»: وكيف نحصل على هذا التصريح؟ وكيف نأمن شرَّ القُوى الخفية؟

رد الرجل: عليكما بالذهاب إلى العاصمة «تمريدة»، ونصيحتي لكم أن تعودوا من حيث أتيتم.

خرج ولم يعد

عند هذا الحد، كان يُمكن اعتبار الحديث مُنتهيًا، ولكن ما قاله الشيخ «غزاوي» عن العودة؛ «من الأفضل لكم أن تعودوا من حيث أتيتم.» شدَّ انتباه «أحمد»؛ فهي نفس الجملة التي سمعها «بو عمير» من الرجل في الجبل، وليسَت الشياطين ممَّن يكتفُون بسَماع النصائح، ولهذا قال «أحمد»: يا شيخ «غزاوي»، ليس من عادَة العرب الكُرَماء أن يستقبلُوا ضيوفهم بهذا الشكل، لقد تركتَنا واقفين ولم تدعُنا إلى تناول الشاي أو القهوة.

بدا في الوجه الذابل الهادِئ شيء من الاهتمام، وقال الشيخ: معذرةً يا ولدي ... ولكن أنت أخطأت الحديث؛ لقد تحدَّثتَ في البداية عن حضوركم لبحث تجمُّعات الأسماك.

ثم عدت فتحدَّثت عن القوة التي تُدمِّر الطائرات والسفن، لهذا شككتُ في أمرك!

ونفثَ من فم نرجيلته خيطًا طويلًا من الدخان ثم قال: تفضَّلا بالجلوس.

وجلس «أحمد» و«عثمان» على حاشيتين من الصوف الخشن، وصفق الشيخ «غزاوي» بيديه النحيلتَين وظهر شابٌّ له شاربٌ يتدلَّى على جانبي فمه، فقال له الشيخ: قهوة يا ولد، واختفى الشاب كما ظهر. وقال «أحمد»: هل تُحدثني قليلًا يا سيدي الشيخ عن هذه الجزيرة وأحوالها وما يتحدث عنه الناس من أمر هذه القوة العجيبة التي تُحطِّم الطائرات والسفن؟!

شدَّ الشيخ نفسًا عميقًا من نرجيلته ثم قال: هذه يا ولدي جزيرة صغيرة وبعض أهلها يعمل في زراعة النخيل وشجيرات الصبر، والبعض يعمل بالصيد، وقد كنا حتى الاستقلال نتبع بلاد الإنجليز، ولكن نحن الآن مُستقلُّون، وأصبحنا جزءًا من جمهورية اليمن الديمقراطية أو اليمن الجنوبية كما تُسمونها.

سكت الشيخ النحيل لحظات ثم مضى يقول: وقد كانت هذه الجزيرة التي تتميَّز بكثرة المواني الطبيعية فيها، أكبر وكر للقراصنة في القرون الماضية، كان القراصنة يَأوُون

بسفنهم المحمَّلة بالغنائم؛ حيث يتم التبادل والتجارة، وقد احتلتها البرتغال فترة من الزمن منذ نحو ٤٠٠ سنة.

جاء الشاب ذو الشاربين بفناجين صغيرة مسطحة «بيشة»، ومعه إبريق من النحاس المشغول، أخذ يصبُّ منه القهوة، ويمدُّ يده إلى كل من «أحمد» و«عثمان» والشيخ، وأخذ الصديقان يجرعان القهوة الشديدة المرارة وعيونُهما معلَّقة بشفتي الشيخ الشاحبتَين، وعاد الرجل يقول: ومنذ ذلك التاريخ البعيد من أيام القراصنة ظهر هذا الوحش الكبير الذي يعيش تحت الماء، يُحطِّم السفن ويَلتهم الملاحين!

أحمد: وهل رأيت هذا الوحش يا شيخ «غزاوي»؟

الشيخ: لا ... أصدقك القول إنني ركبت البحر وأنا في التاسعة من عمري، وقد تجاوزت الآن السبعين، ولكن بعض الناس شاهَدُوه، إنه حيوانٌ بحريٌّ طوله يقدر بعشرات الأمتار، وأنفه ينفث لهبًا يحرق كل شيء.

أحمد: هل شاهده أحد في الفترة الأخيرة، مثلًا منذ سنة أو ستة أشهر؟

الشيخ: لا ... لا ... لم يرَه أحد منذ سنوات طويلة.

أحمد: ولماذا لا يراه الناس الآن، وكانوا يرونه في السنوات البعيدة؟

الشيخ: هذا سؤال لا يمكنني الإجابة عنه، ولعلَّ الوحش الآن يعيش في المياه العميقة حيث لا يراه أحد، ومع ذلك ...

وخفق قلب «عثمان» و«أحمد» عند هذه النهاية، وانتظرا أن يكمل الشيخ جملته فقال: ومع ذلك يقول «دعيج» ابني إن أحدَ زملائه الشباب قد شاهده منذ أيام، ولكني لا أصدق ذلك؛ فهو يقول: إن هذا الوحش البحري هو «الهيولة» ويُشبه الحصان.

أحمد: هل يُمكن أن نتحدَّث إلى «دعيج»؟

صفق الشيخ بيديه فدخل الشاب ذو الشارب المدلى فقال له الشيخ: يا «دعيج» من هو صديقك الذي شاهد «الهيولة»؟

فهم «أحمد» و«عثمان» أنَّ «الهيولة» هي الاسم الذي يطلقونه على الوحش البحري. فرد «دعيج»: إنه «رعد».

أحمد: وهل نستطيع أن نقابل «رعد» هذا؟

رد «دعيج»: نعم؛ فهو يسكن إحدى القرى القريبة من هنا.

أحمد: وما هي الوسيلة لمقابلته؟

دعيج: سنركب الحمير؛ فالطريق وعر ويمر بالجبل!

أحمد: لا بأس، فلتبحث لنا عن ثلاثة حمير نركبها حتى نُكمل حديثنا مع والدك المحترم.

خرج «دعيج»، وقال «أحمد»: سيدي الشيخ، هل يوجد في الجبل الغربي قرب الشاطئ أي منشآت حكومية.

الشيخ: مثل ماذا؟

أحمد: مراكز للمراقبة، أو مصانع، أو مراكز أبحاث؟

الشيخ: لا ... ليس هناك سوى شركة أجنبية تبحث عن كنوز القراصِنة التي غرقت في هذه الأنحاء بواسطة الوحش الخرافي.

أحمد: ومنذ متى تعمل الشركة في هذه المنطقة؟

الشيخ: لا أذكر ... ربما منذ سنة أو أكثر.

ظهر «دعيج» عند الباب فقال «أحمد»: إننا نشكُرُك كثيرًا يا سيدي الشيخ، ولكن هناك سؤال أخير: لماذا هذه النصيحة بالعودة من حيث أتينا؟

رد الشيخ على الفور: لأنَّ عددًا كبيرًا من الأشخاص اختفى وهو يبحث عن الوحش الخرافي، وأي مواطن عربي في هذه الجزيرة سوف ينصحكُم بالابتعاد؛ حتى لا يكون مصيركم مصير من سبقكم.

قام «أحمد» و«عثمان»، ثم قال «أحمد»: لعلَّ حظَّنا يكون أفضل ممَّن سبقونا.

كانت الحمير الثلاثة تقف بجوار العشة، وسرعان ما قفز الشبان الثلاثة عليها، وانطلقوا أولًا بمُحاذاة البحر فترة، ثم انحرفوا ودخلوا في منطقة الجبال، وأخذت الحمير المدربة تقفز الفجوات والحفر، وتدخل في الأنفاق المظلمة وتخرج منها.

وابتسم «عثمان» وقال وهو يقطع الصمت العميق في الجبال: إن الإنسان يَظلِم الحمار كثيرًا، إنه حيوان طيب وعاملٌ، وعلى قدر لا بأس به من الذكاء.

لم يردَّ «أحمد» فقد كان غارقًا في خاطره، مُحاولًا استجماع الخيوط الكثيرة التي بدأت تتشابك في ذهنه، وكان «دعيج» في المقدمة يقود القافلة الثلاثية عبر الجبال والتلال.

بعد مسيرة استمرَّت أكثر من ساعة، بدت الأرض تنبسط مرة أخرى، وغاب البحر عن الأنظار، وبعد فترة ظهرت قرية صغيرة في حضن جبل شديد السواد كأنه قطعة من الليل، وظهرت أسراب النخيل المتراصَّة كصفوف الجنود.

وقال «دعيج» متحدثًا لأول مرة: هذه هي قرية صديقي «رعد» الذي شاهد «الهيولة» ... للأسف إن أكثر الناس لم تُصدِّقه؛ لأنه لم يَصِفْها الوصف الذي يعرفه الناس.

واقتربوا من القرية، ونظر «عثمان» إلى ساعته، كانت تقترب من الثالثة بعد الظهر، وأحس بالجوع.

سارت الحمير الثلاثة في طرقات القرية، ووقف عددٌ من الصِّبية يُشاهدونهم، ثم عند نهاية حارة ضيقة أشار «دعيج» لهما فتوقَّفا، ونزل وأخذ يدق باب أحد المنازل القديمة، وبعد فترة سمعوا صوت الباب يُفتَح وأطل صبي صغير، قال له «دعيج»: أين «رعد» يا «مصباح»؟

قال الصبي بدهشة: «رعد» ... إننا نظن أنه عندك؛ فقد خرج منذ مساء أمس ولم يَعُد حتى الآن.

دعيج: إنني لم أرَه منذ ثلاثة أيام!

الصبي: كيف؟ ترى أين ذهب إذن؟

دعيج: لا أدري ... ربما خرج للصيد!

الصبي: ولكنه لم يأخُذ عدَّة الصيد معه!

نظر «دعيج» إلى «أحمد» و«عثمان». كان ذهن «أحمد» يعمل بسرعة البرق، وقد أحس أن وراء اختفاء «رعد» شيئًا مريبًا، وأن موضوع «القوة الخفية» قد بدأت درجة حرارتها ترتفع، وقال لـ «دعيج»: اسأل الصبي إن كان أحدٌ قد طلبه؟

رد الصبي على الفور: نعم؛ شخص جاء في الظلام ودقَّ الباب وخرج إليه «رعد»، ثم قال لنا: إنك أرسلت في طلبه، وخرج.

دعيج: عجبًا إنني لم أرسل في طلبه! ما هذا الذي يحدث؟!

قال «أحمد» للصبي: هل تعرف الشخص الذي استدعاه؟

الصبي: لا ... فقد تحدَّث معه عند الباب، ثم عاد إلينا، وخرج بعد ذلك ولم يعد.

أشار «أحمد» لـ «دعيج»، فقال «دعيج»: سأبقى هنا حتى أعرف مصير «رعد» وعودا أنتما، وسوف يعرف الحماران طريقهما، واتركاهما عند عشَّة أبي.

أحمد: إذا عرفت شيئًا عن اختفاء «رعد»، فتعال لمقابلتنا في الخليج، قاربنا «صقر البحر» يرسو هناك!

استدار «أحمد» و«عثمان» ليعودا فقال «عثمان» لماذا لا نَنتظر حتى نرى مصير «رعد»؟! من المهم جدًّا أن نعرف وصفه لـ «الهيولة» التي يتحدَّثون عنها.

أحمد: ألم تفهم بعد؟ إنَّ «الهيولة» التي رآها «رعد» ليست سوى غواصة.

عثمان: غواصة؟!

أحمد: طبعًا ... ألم يَقُل الشيخ «غزاوي»: إنَّ «رعد» وصفها بأنها تشبه السفينة؟ إن السفينة التي تخرج من أعماق المياه يا «عثمان» ليست سوى غواصة!

عثمان: ولكنها قد تكون غواصَّة عادية تابعة لإحدى الدول.

أحمد: ليس هذا بمُستبعَد، ولكن اختفاء «رعد» يلقي ظلالًا مريبة على الموضوع كله. ويؤكد أن الشاب المختفي يعرف ما لا يصحُّ أن يَنكشِف بالنسبة لأصحاب هذه الغواصة.

وسار الحماران نشيطين ... وبعد فترة دخلا إلى منطقة الجبال الصخرية المظلمة، وكانت الشمس قد غابت، فازدادت كثافة الظلام بين الصخور العالية، وفجأةً دوت طلقة رصاص، وزعق الحمار الذي يركبه «أحمد» ثم انكفأ على وجهه، وفي أقل من ثانية كان «أحمد» و«عثمان» ينطرحان على الأرض، وقد أدركا أن طلقة الرصاص كانت موجَّهة إلى أحدهما.

انبطح الشيطانان في ظل الصخور، وقد تنبَّهت حواسهما تمامًا، ووضع «أحمد» أذنه على الأرض يستمع؛ فهو يعرف أن الصوت يسري في المواد الصلبة أقوى من سريانه في الهواء، ومرةً أخرى حدثت مُفاجَأة، فقد أُضيء كشَّاف قوي أخذ يدور في المنطقة التي اختفيا فيها، وفي نفس الوقت أخذا يتدحرجان في سرعة إلى أحد الكهوف القريبة، وراقَبا من مخبئهما الكشاف وهو يدور بين الصخور باحثًا عنهما، وهمس «عثمان»: نستطيع أن نطلق النار في اتجاه الكشاف!

أحمد: إن هذا لن يفيدنا في شيء.

شيطانان في الجبل

استعان «أحمد» بضوء النجوم البعيدة على الصعود في اتجاه كشاف الضوء الذي كان ما زال يدور في كل اتجاه بحثًا عنهما، وكانت الصخور المدبَّبة مُنبثَّة على طول الطريق الوعر الذي اختاره للاقتراب من مصدر الضوء، وظل سائرًا حتى اقترب من مكان الكشاف وأدهشه أن يسمع صوت نباح كلب قريب، وأدرك أن مركز المُراقبة يستخدم الكلاب المدرَّبة في اقتفاء أثر أعدائه، وأحسَّ بتوتُّر شديد؛ فهذه الكلاب من الصعب خداعها، وبعد لحظات طالت أو قصرت سيتمكن الكلب من شم رائحته، والوصول إليه، وأدرك أنه من الصعب عليه أن يَقترِب أكثر، وإلا تعرض لهجوم الكلب، ورغم أنَّ في إمكانه أن يُصيب الكلب؛ فقد كان يَخشى أن تُصيب الطلقة مَقتلًا منه، وهو يكره أن يَقتُل الكلاب التي يَعتبرها من أحب الحيوانات إلى قلبه.

جمد «أحمد» ليُفكِّر فيما ينبغي عمله، مُستمعًا إلى كل صوت يصدر حوله، خاصَّة وهو يَخشى أن يتجه الكلب إلى «عثمان» قبل أن يتمكَّن صديقه من اكتشاف وجود كلاب الحراسة، ومضى بعض الوقت، ثمَّ سمع صوت الكلب يَبتعِد وأدرك أن الحارس قد اتَّجه به إلى عكس اتجاهه، فقام يمشي مُحاذرًا حتى اقترب من الكشاف من الناحية الخَلفية حتى لا يكون هدفًا للضوء.

وشاهد مجموعة من الأضواء الصغيرة تَلمع وتَنطفِئ ثم الخطوط العامة لمبنى مُستدير يُشبه البرج، لاحَظَ خروج خيط من الضوء من إحدى نوافذِه فاقترب مُحاذرًا، ونظر من الفتحة الزجاجية الضيقة التي تُشبه قمرة السفينة، وأمام عينيه انبسطت غرفة مُستديرة من الألمونيوم، وبداخلها مجموعة من الأجهزة، كانت نظرة واحدة كافية؛ ليعرف أنها أجهزة رصد قوية، وأن جزءًا منها هو مجموعة من شاشات التليفزيون تتعرَّج عليها

خطوط متوازية، عرف على الفور أنها شاشات رادار ضخم متقدِّم جدًّا، ويَلتقط على مسافات بعيدة.

كان عدد الموجودين في الغرفة ثلاثة؛ أحدهم أمام شاشات التليفزيون، والآخر يضع على أذنَيه سماعات الْتقاط الصوت، أما الثالث فكان حارسًا مُسلَّحًا يَحمِل بندقية سريعة الطلقات، وقد لبس ما يشبه ملابس الصاعقة، ووضع في جنبه مجموعة من القنابل اليدوية، وفجأةً سمع صوت أقدام تَقترب من مكانه فابتعدَ سريعًا، واختفى خلف صخرة، وشاهد شبح حارس يدور حول البرج المعدني في خطوات منتظمة، وأدرك أنه يقوم بدورية مراقبة، وأخذ ذهنه يعمل سريعًا.

إن مهاجمة المكان بمفرده عملية انتحارية، ولا بد من وجود ثلاثة من الشياطين معه. ورغم أنه لم يكن متأكدًا من أن هذا البرج له علاقة بالقوة الغامضة التي جاءوا للبحث عنها وكشفها، إلا أنه أدرك أن هذه الحراسة الكثيفة بالبنادق سريعة الطلقات والقنابل اليدوية والأجهزة الدقيقة — لا يمكن أن يكون كل هذا لمجرَّد البحث عن كنوز القراصنة الغارقة في خلجان جزيرة «سقطرى».

وقرَّر «أحمد» أن ينصرف فورًا للمكان الذي اتفق مع «عثمان» على اللقاء فيه عند نهاية الجبل قرب شاطئ البحر، فدار دورة واسعة حتى لا يصطدم بالحارس، ثم أخذ طريقه هابطًا الجبل، ولكن قبل أن يتقدم بضع خطوات سمع صوت نباح كلب، كان النباح سريعًا ومتوحِّشًا، وأدرك «أحمد» على الفور أن الكلب يقترب من فريسة له، ودقَّ قلبه، فليسَت هذه الفريسة سوى «عثمان»، وأخذ يَجري في اتجاه الصوت وكلَّما اقترب من مصدره ازداد النباح ارتفاعًا ووحشية، وسمع صوت طلقة مزَّقت السكون في الجبل الواسع، وصوت رجل يُلقي أمرًا، وزاد «أحمد» من سرعته، وسمع صوت الرجل يصيح: ألقِ سلاحك.

وعلى ضوء كشاف يُمسكه الرجل بيده، شاهد «أحمد» «عثمان» واقفًا والكلب يَقفِز عليه، والرجل يُوجِّه إليه مسدسًا، وأطلق «أحمد» رصاصتين؛ الأولى أصابت الكلب في كتفه فأسرع يعوي، والثانية حطمت المصباح في يد الرجل ... وأطلق الرجل رصاصته في اتجاه «أحمد»، ولكنها كانت الرصاصة الأولى والأخيرة؛ فقد قفز «عثمان» الذي كان يقف في مكان مرتفع، قفز كالصقر على الرجل، وسقطا يتدحرجان على الصخور، وفي اتجاه مصدر الرصاص انطلقَ الكشاف الكبير يدور في المكان بحثًا عن المُشتبكين، وكان الكلب المصاب يعوي صاعدًا الجبل إلى حيث البرج المعدني.

وكشف الضوء الكبير عن «عثمان» والرجل مشتبكَين في صراعٍ مُميت ولم يكن في إمكان «أحمد» أن يطلق الرصاص؛ فقد يُصيب «عثمان» وعرف أن الموجودين خلف الكشاف لن يطلقوا الرصاص أيضًا وإلا أصابوا زميلهم، ولكنه سمع صوت أقدام كثيرة تنزل الجبل متجهة إلى حيث الصراع المحتدم، فأخذ يقفز بين الصخور مُقتربًا من صوت الأقدام، واختار مكانًا مرتفعًا، ومرَّ رجل بجواره فرفع يده وهوى بالمسدس على رأسه وسقط الرجل يتدحرج، وجاء الآخر، وناله مثلَما نال زميله، ولكن الثالث لا حظ ما يحدث، فأطلق رصاصة مرت بجوار أذن «أحمد» فألقى بنفسه على الرجل، واشتبكا في صراع.

وكان «أحمد» يعرف أن الوقت ليس في صالحه هو و«عثمان»، فلا بد أن مركز المراقبة سيُرسِل آخرين، لهذا حاول أن ينهي معركته بسرعة وفعلًا تمكن من الإمساك بذراع الرجل، وأداره بعنف، ثم ضربه ضربة قوية جعلته يسقط من ارتفاع شاهق …

وأسرع «أحمد» يجري في اتجاه «عثمان»، ولكنه لم يسمع صوت أية حركة تصدر من المكان الذي سقط هو والرجل فيه، وتوقف قليلًا لاهث الأنفاس، ثم سمع صوت الخفاش يأتي من جانبه، وعرف أنه «عثمان»، فقال هامسًا: «عثمان»! …

رد «عثمان»: نعم، أنا هنا.

أحمد: هل أنت بخير؟

عثمان: نعم، وأنت؟

أحمد: على ما يرام، هيا بنا!

وأخذا يهبطان الجبل مُسرعَين، واقتربا من ممر ضيق يؤدي إلى نهاية الجبل، ولكن سلسلة المعارك التي خاضاها لم تكن قد انتهت بعد؛ فقد سمعا صوت رجال يتحدثون، وهم يجرُون في اتجاههم، كان كلٌّ منهما قد فقد مسدَّسه أثناء الصراع، ولم يكن أمامهما إلا أن يتقهقرا عائدَين إلى فوق، ولكن «عثمان» أمسك بذراع «أحمد» فوقف «أحمد» ينظر إليه، فقال «عثمان» هامسًا: الحل الوحيد صخرة كبيرة.

أحمد: لا أفهم ما تعني!

عثمان: إذا استمرُّوا في تقدمهم، ونحن في تقهقرنا فسوف يُحاصرونَنا هم من أسفل والآخرون من فوق، وسنقع في المصيدة، تعالَ نبحث سريعًا عن صخرة يُمكن زحزحتها.

وفهم «أحمد» ما يعنيه «عثمان» وأخذا يتحسسان في الظلام الصخور التي حولهما وقال «أحمد»: هذه الصخرة صالحة.

كان صوت الرجال يقترب، والممر الضيق يُحدِث لأصواتهم صدى يتضخم باستمرار، وسمع الشيطانان أحد الرجال يقول: هذه مهزلة … ولدان يُحدِثان هذا الاضطراب!

وأخذ «أحمد» و«عثمان» يُحرِّكان الصخرة الثقيلة من مكانها حتى طفر العرق من جسدهما، وأخيرًا تحركت الصخرة، فدحرَجاها حتى توسَّطت الممر الضيق، وكان الرجال قد اقتربوا حتى أصبحوا على بُعد نحو عشرة أمتار وصاح أحدهم وهو يُلقي بضوء كشافه إلى فوق: ها هما!

وفي هذه اللحظة أطلق «أحمد» و«عثمان» الصخرة التي نزلت تتدحرج كالصاعقة، وصاح الرجال، ولكن بعد فوات الأوان، فقد نزلت الصخرة كأنها سيارة مندفعة بكل قوتها تدوس كل مَن في طريقها.

وصاح «أحمد»: لننتهز الفرصة!

وقفزا وأخذا يجريان خلف الصخرة كأنهما يُطاردانها، وسرعان ما ابتلعهما الظلام وهما يسمعان الصرخات خلفهما، ولم يتوقفا عن الجري حتى وصلا إلى قاعدة الجبل، ثم وقفا يلهثان.

قال «عثمان» بصوت متقطع: و... ماذا ... بعد ... ذلك؟

أحمد: الإسراع ... نحو القارب.

عثمان: ما زال ... أمامنا ... مسافة طويلة!

أحمد: ليس هناك حلٌّ آخر.

عثمان: إذن هيا بنا!

وسارا مسرعين على الشاطئ حتى دارا حول الجبل. ثم وصلا إلى الجانب الآخر للجزيرة وهما يجران قدمَيهما وأخذا يقتربان من الخليج الذي يقف فيه القارب، وكلٌّ منهما يحلم بحمام ساخن، ووجبة عشاء شهية ثم نوم طويل ... وكانت الصخور العالية في الخليج تحجب عنهما مكان القارب، وفجأة سمعا صوت مجاديف تضرب وجه المياه في ضربات مُنتظمة سريعة، وتواريا خلف نخلة قريبة، وأخذا ينظران إلى المياه السوداء، ولاحظا على الفور قاربًا من المطاط يقترب سريعًا من الشاطئ، ثم يطلق خيطًا من الضوء الأصفر ثلاث مرات سريعة، وظهر من خلف الصخور بضعة رجال أسرعوا إلى الشاطئ كانوا يَحملون شيئًا بينهم، ووقفوا في انتظار حضور القارب، وبعد لحظات وصل القارب إلى الشاطئ، ونزل رجلان ووقفا يتحدَّثان قليلًا مع المُنتظِرين.

وسمع «أحمد» و«عثمان» بعض الكلمات المتناثرة التي يحملها الهواء إليهما ... «بعض العقاقير ... يَفقِد عقله ثلاثة أيام على الأكثر ... نفس المكان ... نفس الساعة ... سنَعثُر على الباقين ... القارب ... لا أحد يعرف ... إن القوة الخفية تكاد تنكشف بواسطة هذا الولد».

وحمل الرجلان «الشيء» الذي أحضره الرجال الثلاثة، وهمس «أحمد»: إنه شخص ملفوف في بعض الأغطية!

عثمان: ربما هو «رعد»!

أحمد: تمامًا، إنه «رعد»! سيَذهبُون به إلى الغواصة لإعطائه بعض العقاقير حتى يفقد عقله وينسى ما شاهَدَه ... إنه الوحيد الذي شاهد القوة الخفية.

عثمان: هل نتدخل؟

أحمد: لا، هناك ما هو أهم ... فـ «رعد» يمكن علاجه بعد ذلك، ولكن الموعد المتَّفق عليه يُهمنا جدًّا. بعد ثلاثة أيام في نفس المكان ونفس الساعة، لو استطعنا الاستعداد فربما أمكننا أن نصل إلى السر كله!

ومضى القارب المطاط، وعاد الرجال إلى الجبل، وتحرك «أحمد» و«عثمان» إلى ما خلف الصخور، إلى الخليج الذي يقف فيه قارب «صقر البحر» وهما يَحلمان بالراحة ... وعندما دارا حول الصخور وواجها الخليج، كان في انتظارهما أخطر مُفاجأة، فلم يكن القارب في مكانه ... لم يَنطِقا بحرف واحد، كانت الصدمة أكبر من أي حديث، لقد تلاشى القارب بمن فيه ... وربما استطاعت «القوة الخفية» أن تُدمِّرَه ... هذا ما فكرا فيه معًا.

عبقرية شيطانية

كان اختفاء القارب في هذه اللحظة شيئًا لا يُمكن تصديقه؛ فقد كان «أحمد» و«عثمان» في أشد الحاجة للراحة بعد يوم عنيف، وكانا في حاجة أكثر إلى تبادل المعلومات مع الشياطين الثلاثة «إلهام» و«زبيدة» و«بو عمير» ... هل وصلتهم أنباء من مجموعة «اليمن» أو مجموعة «الصومال»؟! هل حدث شيء خلال النهار؟!

كانت لحظة مُدمِّرة للأعصاب، ولكن «أحمد» تمالك نفسه سريعًا وقال: لم يعد أمامنا إلا أن نعتمد على نفسينا فقط يا «عثمان». ففي الأغلب أن «القوة الخفية» قد استطاعت سحب القارب بعيدًا وتدميره، وعلينا أن نصل إلى «الصومال» أو «اليمن» الشمالية فورًا للاتصال ببقية الشياطين هناك، إننا لن نستطيع أن نفعل شيئًا وحدنا.

رد «عثمان»: أُوافق، ولكن كيف السبيل للوصول إليهم؟

أحمد: لنبحث عن مكانٍ نقضي فيه بقية الليل، ونجد طعامًا ثم نبدأ من الصباح الباكر البحث عن وسيلة للذهاب إلى مجموعة «اليمن». إن بيننا وبينهم طريقًا بريًّا يمكن قطعه في يوم أو يومين!

عثمان: وأين نذهب الآن؟

أحمد: ليس أمامنا إلا عشَّة الشيخ «غزاوي»، والمسافة بيننا وبينها نحو ساعة مشيًا.

عثمان: هيا بنا.

وأخذ الشيطانان طريقهما على طول الشاطئ الرملي، كانا يَسيران في بطء فقد كانا مُجهدَين، ومضَت نصف ساعة وهما يشدان قدمَيهما شدًّا في الرمال الناعمة وصوت البحر الهادئ لا يقطعه إلا صفير بعض الطيور البرية، وفجأة توقف «عثمان» وأمسك بذراع «أحمد» قائلًا: انظر هناك ... أمامك جهة اليمين قليلًا.

نظر «أحمد» إلى حيث حدَّد «عثمان» ولاحظ ضوءًا يتأرجح على صفحة المياه السوداء، فقال: قارب ... لعله من قوارب الصيادين!

عثمان: لا، انظر جيدًا ... إن القارب يُرسل إشارات متقطعة!

أمعن «أحمد» النظر ثم صاح كالمجنون: إنهم الشياطين!

ونسيا تعبهما كأنه لم يكن، واندفعا يجريان ناحية الضوء، وكان واضحًا أن ثمة شخص يجلس في قارب وبيده بطارية يرسل منها إشارات معينة، وظلا يجريان حتى اقتربا من مكان الضوء، وعادا إلى حذرهما مرةً أخرى واقتربا في هدوء وهما يسيران على أيديهما وقدميهما، وأطلق «عثمان» صوت الخفاش، وجاءه الرد، فقفزا في الهواء وأسرعا إلى القارب، ووجدا «بو عمير» في انتظارهما.

صاح «أحمد»: «بو عمير» ... ماذا حدث؟

بو عمير: سأَروي لكما كل شيء ... هيا بنا.

أحمد: إلى أين؟

بو عمير: إلى القارب طبعًا!

أحمد: ألم تُدمِّره «القوة الغامضة»؟

بو عمير: كادَت تُدمره.

ارتمى «أحمد» و«عثمان» في قاع القارب المطاط الصغير، وأخذ «بو عمير» يُجدِّف بنشاط، وسرعان ما ابتعدوا عن الشاطئ، ومضت فترة وهم صامتون، ولا شيء يقطع الصمت سوى صوت المجاديف وهي تغوص في المياه، حتى داروا حول الجزيرة تقريبًا، وأخذ «بو عمير» يعدل خط السير في اتجاه المحيط ثم أخذ خطًّا مستقيمًا فعاد «أحمد» يسأل: أين القارب؟ ... إنني لا أرى أي ضوء.

بو عمير: سنصله بعد دقائق، وستعرف كل شيء.

ومضت دقائق قليلة، وشاهد «أحمد» و«عثمان» شبح «صقر البحر» المظلم يقف تحت ضوء النجوم البعيدة، وبعد دقائق أخرى كان الثلاثة يصعدون السلم الجانبي إلى سطح القارب.

استقبلتهم «زبيدة» و«إلهام» بوابل من الأسئلة، ولكن «أحمد» و«عثمان» لم يردَّا، كان كل ما يهمهما في هذه اللحظة أن يعرفا ما حدث ... ودخلوا جميعًا إلى جوف القارب حيث كان ثمة ضوء من مولِّد صغير يعمل للإضاءة فقط.

وارتمى «أحمد» و«عثمان» على مقعدَين، وهما لا يصدقان أنهما وصلا في النهاية إلى «صقر البحر».

قال «أحمد» وهو يتناول قطعة من اللحم ليأكلها: والآن ماذا حدث؟

قال «بو عمير»: مضى اليوم عاديًّا، وقد راقبناكما بالنظارات حتى غبتُما عن البصر، ثم أخذنا فيما بيننا الحراسة والاستماع حتى هبط الظلام ثم أدرنا ماكينات «صقر البحر»، للإضاءة وغيرها من الأغراض، وقد حدث كل شيء نحو التاسعة ليلًا، وكانت الماكينات تدور ونحن جالسون، واستلمت «إلهام» إشارة من مجموعة «الصومال» أنهم لم يَعثُروا على معلومات بعدُ، وكذلك وصلتنا إشارة أخرى من مجموعة «اليمن» الشمالية بنفس المعنى، وفجأة وجدنا «صقر البحر» يتحرَّك وحده.

وصمت «بو عمير» وتوقف «أحمد» و«عثمان» عن المضغ ... وعاد «بو عمير» يحكي: نعم ... فوجئنا «بصقر البحر» يهتزُّ قليلًا، ثم يندفع خارجًا من المرسى متجهًا إلى عرض البحر، وكأن قوة جبارة تجره بسلاسل غير مرئية.

عثمان: شيء غير معقول!

بو عمير: بالضبط ... ووقفنا مذهولين لا نَعرِف ماذا نفعل، وصعدنا سريعًا إلى سطح القارب لعلنا نرى «القوة الخفية» التي تجذب «صقر البحر» ... ولكن لم يكن هناك أحد على الإطلاق، فقد كان البحر واسعًا أمامنا وليس فيه مخلوق، ولولا إيماننا ورفضنا للخرافات لقلنا إن العفاريت تسحب القارب، أو لصدقنا بالوحش الخرافي الذي يَعيش تحت الماء.

أحمد: أنه ليس خرافة.

زبيدة: ماذا تقصد؟

أحمد: إنَّ هناك وحشًا تحت الماء حقًّا، ولكن ليس هذا أوان الحديث عنه ... أكمل يا «بو عمير».

بو عمير: وكما تعرفان، كنا نقف عند الخليج الصغير في حضن الجبل ...

وجذبت القوة الخفية «صقر البحر» خارج الخليج وأدارته في اتجاه ساحل «اليمن» والمسافة لا تزيد على مائة كيلومتر أو أقل. والقارب مندفع نحو شاطئ «اليمن» بعيدًا بأقصى سرعته!

صاح «عثمان»: إنك ستقتلني بروايتك هذه، كيف حدث هذا؟!

بو عمير: هذا ما حدث بالضبط. وصمت لحظات ... وتوقَّف «أحمد» و«عثمان» عن شرب الشاي الساخن الذي أتت به «إلهام»، فقال «أحمد» وكيف أوقفتم القارب؟

نظر «بو عمير» إلى «زبيدة» في تقدير وقال: عبقرية «زبيدة».

ابتسمت «زبيدة» في تواضُع، فقالت «إلهام»: إنها حقًّا عبقرية؛ فقد كانت دائمًا أفضلنا في دراسة الميكانيكا والكهرباء.

قالت «زبيدة»: أخجلتُم تواضعي.

أحمد: ماذا فعلت يا «زبيدة»؟

ردت «زبيدة»: فليَقُل «بو عمير».

بو عمير: لا ... لا بد أن تشرحي استنتاجاتك، وكيف أنقذتِ القارب من الدمار المحقَّق؟

صفَّفت «زبيدة» خصلة من شعرها ثم قالت: فكرت أن القوة المجهولة لا تستخدم مجالًا مغناطيسيًّا للجذب. فمهما كانت قوة المغناطيس فهو لا يستطيع أن يَسحَب قاربًا في حجم «صقر البحر» وبهذه السرعة! ... إذن ...

قال «عثمان» مُبتسمًا: المهم إذن هذه.

زبيدة: إذن فإن القوة الخفية تَعتمِد على حركة الماكينات ذاتها ... وتذكَّرت الأبحاث التي قدمها لنا رقم «صفر» عن الحوادث السابقة، سفينة تسير في عرض البحر، فتتَّجه فجأةً إلى الشاطئ وتُدمَّر. طائرة تسير في السماء، وفجأةً تتجه إلى البحر وتسقط وتغوص فيه، إذن هناك كلمة «تسير» باستمرار ... أي إنَّ «القوة الخفية» لا تستطيع جذب سفينة واقفة، ولا طائرة على الأرض، فأسرعت إلى غرفة الماكينات، وأوقفت ماكينة القارب.

عثمان: وانتهى كل شيء؟!

زبيدة: أبدًا.

نظر إليها «أحمد» و«عثمان» في دهشة وقال «بو عمير»: دعوها تُكمل حديثها.

عادت «زبيدة» تقول: رغم أنني أوقفت الماكينة، لم يتوقف القارب عن اندفاعه؛ فقد عادت الماكينة إلى العمل من تلقاء نفسها.

عثمان: مُدهش!

زبيدة: نعم ... هذا ما حدث ... إن «القوة الخفية» قادرة على تشغيل الماكينات الواقفة أيضًا، وجزء من استنتاجي الأول كان خاطئًا.

أحمد: إذن ماذا فعلت؟

زبيدة: وصلت إلى استنتاجٍ ثانٍ فورًا ... قلتُ: لا بد أن السفن التي غرقت حاولت نفس المحاولة؛ أي أوقفت الماكينات، ولكن رغم هذا اندفعت وتحطمت.

عثمان: إنك تُثيرين جنوني ... فماذا فعلت؟!

زبيدة: وصلت إلى استنتاج ثانٍ، هو حلُّ جزءٍ من الماكينة. إن القوة الخفية تدير آلة قابلة للدوران، ولكن إذا كانت هذه الآلة فاسدةً ... ناقصة، لا تستطيع الدوران، «فالقوة الخفية» لا تستطيع إدارتها، تمامًا إذا تصوَّرتم أن محرِّك سيارة يعمل، إنه يعمل لأنَّ جميع

أجزائه صالحة للإدارة، ولكن لنفرض أننا مثلًا نزعنا جزءًا منه، مثلًا مضخة البنزين، أو شموع الاحتراق، أو أسلاك توصيل الكهرباء، إنه بالطبع لن يعمل، حاولت ... وهكذا أسرعت فعلًا ونزعت كل أسلاك الكهرباء، ثم مضخَّة «السولار» الذي يعمل به القارب، وهكذا ظل القارب سائرًا نحو عشرين كيلو مترًا أخرى بقوة الاندفاع، ثم توقَّفَ تمامًا.

قال «أحمد»: يا لكِ من فتاة مدهشة!

تفضل يا سيدي بالتفتيش

كان صباح اليوم التالي على ظهر «صقر البحر» صباحًا جميلًا ... استيقظ «أحمد» نشيطًا فاغتسل ثم صعد إلى ظهر القارب وأخذ يدرس المكان الذي يقف فيه. كان القارب يقف في المسافة بين جزيرة «سقطرى» وساحل جمهورية «اليمن الشعبية»، وظهرت «زبيدة» وتبادلا تحية الصباح، وسألها «أحمد»: هل هذا هو المكان الذي وقف عنده «صقر البحر» بعد أن أوقفت ماكيناته؟

ردت «زبيدة»: لا ... لقد كان قريبا جدًّا من الشاطئ.

أحمد: وماذا فعلت؟

زبيدة: انتظرت ساعة ... ثم أدرت الماكينات، فلما لم يَحدُث شيء، سيرت القارب فترة ثم توقفت هكذا حتى توقفنا هنا.

أحمد: «زبيدة» ... هل يمكنك تحديد مصدر القوة الغامضة نتيجة لما حدث؟

زبيدة: لا، للأسف ... وإن كنت أعتقد أنها قريبة جدًّا من القارب، رغم أننا على مبعدة من الشاطئ.

أحمد: هل تصوَّرتِ أنها غواصة؟ أقصد أن القوة الغامضة موجودة في غواصة؟

هزت «زبيدة» رأسها ثم قالت: ليس هذا بمُستبعَد ... ففي إمكانها أن تُصبح قريبة جدًّا من القارب دون أن نراها!

أحمد: ولكن كيف نُفسِّر سيطرتها على آلة طائرة بعيدة؟

زبيدة: ربما تصعد في هذه الحالة فوق الماء، ثم توجه طاقتها الغامضة ... ولكن لماذا خطر ببالك أنها غواصة؟

أحمد: لأنَّ شابًّا من مُواطني «سقطرى» شاهدها ووصفها وصفًا يجعلها أقرب ما تكون إلى الغواصة.

زبيدة: وأين هذا الشاب لنَسمع منه مزيدًا من التفاصيل؟

أحمد: للأسف ... إنه موجود الآن على ظهر الغواصة ذاتها، وسيقومون بعمل غسيل مخٍّ له، وسيعطونه من العقاقير ما يؤدي إلى فقدان ذاكرته!

زبيدة: إنها معلومات جديدة، كيف حصلتَ عليها؟

أحمد: سأروي لكم كل هذا بعد الإفطار، ثم نضع خطتنا؛ فعندي معلومات على جانب كبير من الأهمية ربما تُؤدِّي إلى وضع حدٍّ لهذه «القوة الغامضة».

وسمعا جرس الإفطار يدق، واتجه الاثنان إلى المائدة، ووجدا «عثمان» و«إلهام» و«بو عمير» قد سبقوهما إليها، وتبادل الجميع تحيات الصباح في مرح، رغم وجود ورم ظاهر تحت عين «عثمان»، وجرح في الرقبة من الخلف عند «أحمد»، وتناوَلا الإفطار سريعًا، وعندما بدءوا يشربون الشاي بدأ «أحمد» يروي مغامرته هو و«عثمان» على ظهر الجزيرة، ووصل إلى استنتاجه أن القوة الغامضة موجودة في غواصة، وتصوَّرها على أنها جهاز مُبتكَر يستطيع السيطرة على أيِّ ماكينة وتوجيهها إلى الاتجاه الذي يُريده، وقال «عثمان»: وقد وضعوا برجًا على قمة الجبل للمُراقبة والاتصال، وهذا البرج يمدُّ الغواصة بالمعلومات اللازمة عن السفن والطائرات المارة بواسطة شبكة رادار تليفزيونية متطوِّرة شاهدتها بنفسي خلال زجاج البرج المعدني.

ومضى «أحمد» يقول: والحراسة حول البرج قوية؛ فهُناك مجموعة من سكان الجزيرة يُمثِّلون خط الدفاع الأول، وهؤلاء هم مَن شاهَدَ «بو عمير» أحدهم، والذي كان يضع على رأسه «الغطرة» الحمراء، وهم طبعًا لا يعرفون شيئًا عن الغواصة وكل ما يتصوَّرونه أنهم يعملون لدى الشركة التي تبحث عن كنز القرصان.

وسكت «أحمد» وهو يَرشُف كوب الشاي، ثم مضى يقول: وخط الدفاع الثاني يتكون من ورديات من الرجال المسلَّحين حول البرج، وخط الدفاع الثالث بداخل البرج نفسه!

إلهام: إن مهاجمة البرج مهمة صعبة!

أحمد: نعم ... ولكن يُمكن ضربة من بعيد ... لهذا أريد أن يتجمَّع الشياطين الـ ١٣جميعًا هنا ... سنقُوم بضربتَين في وقتٍ واحدٍ.

بو عمير: أين ... وأين؟

أحمد: واحدة لنسفِ البرج المعدني، والثانية لنسفِ الغواصة.

بو عمير: وأين سنجد الغواصة؟

أحمد: هناك نقطة هامَّة لم أَروِها لكم، أبقيتها حتى آخر الحديث لنَبني خطتنا عليها بعد أن نَقتنع بجميع الاستنتاجات التي توصلنا إليها.

إلهام: أعتقد أننا توصلنا إلى استنتاجات محدَّدة حول طبيعة القوة الغامضة وحول مكانها، ويبقى كيف نصلُ إليها.

التفت «أحمد» إلى «عثمان» قائلًا: هل تذكر الكلمات التي استمعنا إليها ونحن على الشاطئ، عندما التقى الرجال القادمُون من البحر، بالرجال القادمين من البرج؟

قال «عثمان»: أتذكر بعضها.

عاد «أحمد» يقول: إنَّني أتذكرها كلها، وما يُهمني منها هو اتفاقهم على اللقاء في نفس الزمان والمكان بعد ثلاثة أيام، إنَّ أمس كان الجمعة، ومعنى ذلك أنهم سيلتقون يوم الإثنين القادم ليلًا في الساعة الثانية صباحًا على نفس الشاطئ.

زاد اهتمام الشياطين الأربعة بحديث «أحمد» الذي مضى يقول: إن القادمين من البحر جاءوا في قارب من المطاط، ومن الواضح أن الغواصة صعدت إلى سطح المياه في مكان قريب، ونزل منها القارب ثم عاد إليها وهكذا يُمكننا معرفة مكان الغواصة إذا تابعنا القارب أثناء عودته إليها، وسنَنقسِم إلى مجموعات للهجوم على الغواصة والبرج في وقتٍ واحد، حتى لا يتمكَّن أحدهما من إنذار الآخر.

إلهام: إنها خطة طموحة جدًّا ... ولكن ليس عندنا قنابل أعماق لضرب الغواصة.

أحمد: إنَّ خطتي هي نسفها بالديناميت، مجموعة منا تنزل إلى العمق، وتضع حولها مجموعة ضخمة من الديناميت شديد الانفجار، ثم نسفها.

وصمت «أحمد» لحظات ثم قال: ما رأيكم؟

رد الأربعة في نفس واحد: موافقون.

«أحمد» إذن عليك يا «إلهام» أن تقومي باستدعاء مجموعة «اليمن الشمالية»، ومجموعة «الصومال» ... ولتصلْ مجموعة «اليمن» غدًا الأحد، ومجموعة «الصومال» يوم الإثنين صباحًا، وستقوم «زبيدة» بتشغيل الماكينات مع مراقبة أي مُحاولة لسحب القارب ناحية الشاطئ، وسأقوم مع «عثمان» و«بو عمير» بجرد وترتيب وتجهيز كلِّ ما معنا من أسلحة، والكشف عن القوارب الستة الصغيرة التي معنا، والتي سنحتاج إليها جميعًا في ليلة الهجوم.

قامت «إلهام» إلى غرفة اللاسلكي، وقامت «زبيدة» إلى غرفة الماكينات، ودخل الشياطين الثلاثة إلى مخزن الأسلحة، وهو غرفة مسحورة من الصعب معرفة مكانها. وابتسم «بو عمير» وهو يرمق الأسلحة المعلَّقة على الجدران؛ وكانت مجموعة رائعة من المسدسات والبنادق السريعة الطلقات، وانحنى «عثمان» على الصناديق يَفتحها ثم قال: إن رقم «صفر» لم يترك شيئًا ناقصًا، كل ما تتخيَّلونه من أسلحة مُتوفِّر هنا.

أما «أحمد» فكان مهتمًّا بمجموعة المفرقعات، من جلجنايت، و«ت. ن. ت» ... وأخذ يحسب الكميات المطلوبة ومدى ما يُمكن أن يكفيَ لنَسفِ الغواصة تحت المياه، وكمية الأسلاك الكهربائية التي ستُوصل إلى المُفرقعات، وقضى الشياطين الثلاثة نحو ساعتين في غرفة الأسلحة المصفَّحة، وعندما غادروها كانت على وجوهِهم ابتسامات الرِّضى؛ فقد كان كل شيء على ما يُرام.

صعد الثلاثة إلى السطح ووجدوا «إلهام» وحدها، فقالت: لقد اتَّصلتُ لا سلكيًّا بمجموعة الشياطين في «اليمن الشمالية» وسيَصلُون في موعدهم، أما مجموعة «الصومال» فقد لا يتمكَّنون من الحضور في الوقت المناسب.

أحمد: لماذا؟

إلهام: هناك بعض مشاكل في الحضور بالطائرات؛ فليست هناك خطوط منتظمة ولا مباشرة، ولهذا سيُحاولون استئجار قارب والحضور به.

بو عمير: هل سنَبقى حتى يوم الإثنين دون عمل؟

أحمد: هذا ما أفكِّر فيه الآن، عندي فكرة أن نذهب إلى الشاطئ لمقابلة الشيخ «غزاوي» وابنه، ولكن أخشى أن تستجدَّ هناك مشاكل تعطلنا عن تنفيذ الخطة.

كانت «زبيدة» قد صعدت إلى السطح في هذه اللحظة فسمعت الحديث وقالت: هناك احتمال أسوأ، أن يقوم رجال البرج بالهجوم علينا بالقوارب ... بعدما فعله «عثمان» و«أحمد» فيهم، لهذا أرى أن نبتعد قدر الإمكان وأن نُشدِّد الحراسة.

وفي هذه اللحظة صاحت «إلهام»: يبدو أن المتاعب تسعى إلينا فعلًا ... فإنني أرى قاربًا يتجه إلينا.

وقف الشياطين الخمسة على طرف «صقر البحر» يرقبون قاربًا يقترب، وعندما نظر إليه «بو عمير» بواسطة نظارة مكبرة قال: إنه قارب صيد من قوارب الأهالي.

أحمد: في هذه الحالة أتوقَّع أن يكون الشيخ «غزاوي» وولده.

بو عمير: إن في القارب شخصًا يَرتدي ملابس الشرطة.

ساد الصمت بعد هذه الجملة ثم قال «أحمد»: إذا كانت هناك أسلحة خارج غرفة السلاح فلنُسرِع بإعادتها داخلها، إنها مموَّهة تمويهًا جيدًا، ولا يستطيع أن يصل إلى مكانها أحد غيرنا.

وأسرع الجميع إلى غرفة الأسلحة التي كانت تقع خلف الكابينة الرئيسية في القارب ولا يُمكن الوصول إليها إلا برفع الكراسي والستائر، والعثور على الباب السري الخاص بها.

ولم يكد الشياطين يخرجون من غرفة التسليح حتى كان القارب قد وصل، وفعلًا صعد منه الشيخ «غزاوي» ومعه مجموعة من الرجال، ومعهم أحد رجال الشرطة، وقال الشيخ «غزاوي» بعد أن حيا الأصدقاء تحية الصباح: إنَّ الرقيب «مسعود» من رجال الشرطة، وهو مكلَّف بالبحث عن ولد مفقود من أولاد القرية.

قال «أحمد»: وما دخلُنا في ذلك يا شيخ «غزاوي»؟! لقد كُنَّا مع ابنك «دعيج» أمس عندما علمنا بخبر اختفاء «رعد».

قال الشيخ «غزاوي»: إن رجالنا عثروا على آثارٍ قرب البحر، وعلى الرمال تُؤكِّد أن شخصين أو أكثر حملوا حملًا ثقيلًا إلى الشاطئ، وليس من المستبعَد أن يكون قد نقل إلى سفينة راسية في الميناء، وليس هناك سوى سفينتكم.

أحمد: إنَّ رجال الأثر عندكم على قدرٍ كبير من المهارة، وليس من المُستبعَد أن يكون ذلك صحيحًا ... ولكن ليس إلى قاربنا نُقل ولدكم.

تدخَّل رجل الشرطة قائلًا: سأقوم بتفتيش القارب.

رد «أحمد»: على الرُّحب والسعة يا سيدي ... تفضل.

وقام رجل الشرطة بتفتيش القارب، بينما قامت «زبيدة» و«إلهام» بواجب تقديم الشاي إلى الضيوف ... وقال «أحمد» موجهًا حديثه للشيخ «غزاوي»: وأين «دعيج»؟

قال الشيخ «غزاوي»: إنه يَبحث عن صديقه في الجبل، وبعض الناس يقولون إنه اتجه إلى هناك بصحبة رجل غريب.

صمت «أحمد» ... كان يعرف الحقائق كلها ... ولكن لم يكن من الممكن أن يدلي بمعلومة واحدة، وإلا انهارت خطته كلها، وبعد نصف ساعة صعد رجل الشرطة قائلًا، إنه لم يجد شيئًا، وبعد أن تناول الشاي هو الآخر، رحل الجميع، ووقف الشياطين يرقبون القارب وهو يبتعد.

لأول مرة معًا

في مُنتصَف يوم الأحد، وصلت مجموعة «اليمن» المكوَّنة من «قيس» و«رشيد» و«ريما» و«مصباح» وقد نقلتْهم سفينة صيد من الشاطئ إلى القارب، وبعد وصولهم بأقل من ساعة كان «أحمد» قد أحاطهم علمًا بجميع التطورات التي مرَّت بالشياطين الخمسة منذ وصولهم الجزيرة، والخطة التي ينوي اتباعها.

وقال «قيس» معلقًا: إنَّ الخطة معقولة جدًّا، لولا أن هناك احتمالين لفشلها ... الأول: أن تقوم القوة الغامضة بواسطة رجالها بشنِّ هجومٍ وقائيٍّ على القارب «صقر البحر»، وربما يحدث هذا الليلة، وأتمنى أن يكون الهجوم بالأسلحة التقليدية، وليس بواسطة الطاقة الغامضة الموجودة في الغواصة.

قال «أحمد»: هذا مُمكن جدًّا، وما هو الاحتمال الثاني؟

«قيس»: أن يُخلفُوا موعدهم، أو يُعدِّلوه ... إن بينهم كما تقولون اتصالات لا سلكية مستمرَّة، ومن المُمكن طبعًا أن يُعدلوا الموعد بالتقديم أو التأخير.

أحمد: وهذا احتمال آخر ممكن ... فما هي خطتك لتوقِّي الاحتمالين؟

قال «قيس»: أولًا تشديد الحراسة حول «صقر البحر» هذه الليلة والليلة المقبلة، ونحن الآن تسعة، وفي الإمكان عمل ثلاث ورديات حراسة. كل وردية مكوَّنة من ثلاثة أفراد.

أحمد: أوافقك!

قيس: وعندما تصل مجموعة «الصومال» غدًا، أقترح قيام دوريات على القوارب قرب الساحل، ربما حدث تعديل في المواعيد.

أحمد: أوافقك مرة أخرى، وستقوم أنت بتنفيذ خطتَي المراقبة ... في القارب وعند الشاطئ.

وانفضَّ الاجتماع، ومضت الحالة هادئة حتى أقبل الليل، وهبط الظلام كثيفًا على المنطقة مع رياح قوية أخذَت تهبُّ بلا انقطاع من قلب المحيط، وأدارت «زبيدة» الماكينات وجلست بجوارها. فدخل «أحمد» وجلس معها، ولم يَمضِ على دخوله دقائق حتى أخذت الماكينات تسرع بشكل جنوني وأحسُّوا بالقارب يَقتلع مرساته ويَنطلق، وأسرعت «زبيدة» لتجذب أسلاك الكهرباء، ولكن «أحمد» منعها قائلًا: انتظري قليلًا، أريد أن أقيس مدى السرعة وشدة الجذب؛ إنَّ ذلك جزء هام من تقريرنا إلى رقم «صفر» إذا استطعنا العودة إلى المقر السري، فسأَصعدُ إلى السطح وبعد عشر دقائق بالضبط قومي بعملك.

أسرع «أحمد» إلى سطح القارب، بعد أن أحضر جهازًا صغيرًا يقيس السرعة والاتجاه. أحاط به الشياطين السبعة، وقد علت الدهشة وجوههم وهو يقف ثابتًا يرقب الشاطئ الأسود البعيد، ومرت الدقائق بطيئة، وقالت «ريما»: ماذا تنتظر «زبيدة»؟

قال «أحمد»: لقد طلبتُ منها الانتظار خمس دقائق لأحسب السرعة والاتجاه وقوة الجذب …

وبعد لحظات سكت صوت الماكينات، وهدأت السرعة تدريجيًّا حتى توقَّف القارب تمامًا، وصعدت «زبيدة» إلى السطح فقال «بو عمير»: إنهم لم يكفُّوا عن المحاولة بعد.

أحمد: نعم … ولكنهم الآن متأكدون أننا اكتشفنا وسيلة لمنع وقوع الكارثة، وليس من المُستبعَد الليلة أن يقوموا بهجوم علينا بالأسلحة التقليدية، بنادق، ومسدَّسات، وغيرها.

قال «مصباح»: أليس من المُمكن أن تكون الغواصة مزوَّدة بطوربيدات يُمكن أن تَضرب من تحت الماء، أو بمدافع يُمكن أن تضرب من فوق الماء؟

أحمد: هذا مُمكِن جدًّا، والحقيقة أننا في موقف خطير، وأرجو أن نلبس جميعًا ملابس الغوص، وأن نُجهز قوارب النجاة المطاطية كلها، بعضها نركبه، وبعضها نحمل عليه أسلحتنا، وسنقضي الليل في القوارب، وننام في الصباح.

ولم يكد ينتهي من حديثه، حتى أسرع الجميع إلى ارتداء ملابس الغوص المطاطية، ثم أنزلوا القوارب، ونزلوا فيها، وحملوا أسلحتهم معهم، وابتعدوا عن «صقر البحر» بمسافة كافية، وتوقَّفوا.

مضت ساعات الليل بطيئة مملوءة بالترقب والانتظار، وكانت السيطرة على القوارب الصغيرة أمرًا شاقًّا خاصة مع الريح القوية التي ظلَّت تهبُّ دون توقُّف، ولكن براعة الشياطين تجلت في هذه الليلة المزعجة حتى إذا انبثقت تباشير الفجر، أسرعوا يُجدفون إلى «صقر البحر» وقد أنهكهم السهر والتعب، وسرعان ما ذهبوا جميعًا في سبات عميق.

لم يستيقظ الشياطين إلا قرب الظهر، وقد استيقظوا على ضجة صادرة من السطح، فقفزوا جميعًا إلى أسلحتهم وتسللوا إلى السطح، وقد أحسُّوا بخطأ النوم دون ترك حراسة، ولكن المفاجأة التي كانت في انتظارهم أنستهم الخطأ، كانت مفاجأةً مُفرحة؛ فقد وصلت مجموعة الصومال المكونة من «هدى» و«فهد» و«خالد» و«باسم» ... وتبادل الشياطين التحيَّات الحارة، وعندما ابتعد قارب الصيد الذي حمل مجموعة «الصومال»، جلس الشياطين جميعًا معًا في الكابينة الرئيسية للقارب، وقال «أحمد»: لعلَّها المرة الأولى في مغامراتنا كلها التي نَجتمِع فيها معًا في مكان واحد خارج المقر السري، والواقع أننا محتاجون إلى كل قوتنا للقضاء على عدونا المجهول الذي يملك قوة خارقة.

ومضى «أحمد» يشرح لمجموعة «الصومال» المعلومات التي حصلوا عليها، والاستنتاجات التي توصلوا إليها، والخطط التي وضعوها، وقال «أحمد»: الليلة ستكون المعركة الفاصلة، إما أن تقضي علينا القوة الغامضة أو نقضي عليها، نحن ثلاثة عشر، ولا ندري كم هم! ومهما كان عددهم ففي إمكاننا التغلُّب عليهم إذا كانوا بعيدين عن القوة التي يملكونها، أو إذا كنا نعرف أين هم بالضبط.

وسكَت «أحمد» قليلًا، ثم قال: إنني أعتقد أننا مُراقَبُون بواسطة البُرج المعدني في أعلى الجبل، وأعتقد حسب استنتاج «رشيد» أن القوة الغامضة التي لم تَستطِع السيطرة على القارب سوف تُحاول نسفه بالطوربيد الليلة، ولهذا بمجرد أن يهبط الظلام سننزل إلى القوارب المطاط جميعًا، ومعنا الأسلحة. إن عندنا ستة قوارب، سيكون في كل قارب أربعة؛ أي: اثنا عشر في ثلاثة قوارب، وسيبقى «فهد» على سطح «صقر البحر» على أن يَقفز بمجرد إصابة القارب بطوربيد، ودائمًا ما يكون ضرب الطوربيد في الجانب، والمتوقَّع بالطبع أن يكون الجانب المُواجه للمحيط؛ لأن المياه قرب الشاطئ ضحلة ولا تكفي لتعويم الغواصة، وهكذا يجب على «فهد» أن يبقى عند المقدمة، وسيبقى عندنا ثلاثة قوارب سنُحمِّلُها بالذخيرة.

وصمت «أحمد» قليلًا ثم قال: إن أملنا كله معلَّق على وصول الرجال حسب اتفاقهم في الثانية بعد منتصف هذه الليلة، ستتبع مجموعة منَّا مُكوَّنة من خمسة رجال «عثمان»؛ لأنه سبق وركب الجبل، وسيتَّجهون جميعًا إلى الجبل، ومهمتهم القضاء على هؤلاء قبل أن يصلوا إلى البرج ... ثم يحزمون البرج بحزام من المُفرقعات وينسفونه.

واستجمع «أحمد» أنفاسه ثم قال: والمجموعة الثانية سأكون معهم، ومهمتنا متابعة قوارب المطاط وهي عائدة إلى الغواصة، وعندما تصعد الغواصة لانتشالهم نكون قد حدَّدنا

مكانها، ثم ننزل لوضع مجموعة من المواد الناسفة القوية على جدرانها وننسفها ... وبعدُ، إما أن نجتمع في «صقر البحر» إذا كان لا يزال موجودًا، وإما عند الخليج الذي رسونا عنده لحظة حضورنا.

قال «فهد»: وأنا؟

رد «أحمد»: إذا لم يُنسَف «صقر البحر» ستبقى به، وإذا نُسف، فعليك بالسباحة إلى الخليج الذي سأشرح لك مكانه، والانتظار عند شاطئه.

بعد هذا التوضيح تمَّ تقسيم المجموعتين ... الأولى التي ستَنسِف البرج من: «عثمان» و«زبيدة» و«بو عمير» و«قيس» و«رشيد» و«ريما» ... والثانية التي ستنسف الغواصة من: «أحمد» و«هدى» و«إلهام» و«خالد» و«باسم» ... وكان على «فهد» وحده أن يبقى على ظهر «صقر البحر».

ومضى الشياطين بقية اليوم يُعدُّون الديناميت. ويضعون الأسلحة في أكياس البلاستيك حتى لا يتسرَّب إليها الماء، وكان «عثمان» سعيدًا؛ لأنه سيستخدم «بطة»، كرتَه المطاطة المحبوبة في اصطياد بعض الرجال، وأخذ يتمرَّن لمدة ساعة على قذفها على أهدافٍ أصابها جميعها.

هبط المساء، وجلس الشياطين يضبطون ساعاتهم، وعندما تكاثف الظلام تبادلوا التحيات في جو من المرح المشوب بالتوتُّر، ثم نزلوا إلى القوارب، وبقي «فهد» وحده عند مقدمة «صقر البحر» ينتظر.

ابتعدت القوارب في صمت، واختار «أحمد» مكانًا عند رأس مثلَّثٍ ضلعُه الشاطئ، وضلعه المحيط، وطلب التوقف ... وتوقفت القوارب وساد الصمت، وهمس «أحمد» في أذن «إلهام»: هل أحضرتِ منظار الأشعة تحت الحمراء؟

ردت «إلهام»: نعم ... إنه معي.

ومنظار الأشعة تحت الحمراء يمكن مَن يستخدمه من الرؤية في الظلام، وكان خير وسيلة لرصد حركات القوارب المعادية.

مضت الساعات بطيئة حافلة بالتوتر، وبين فترة وأخرى كان «أحمد» يَنحني ليرى ساعته الفوسفورية. وفي الساعة الثانية إلا الربع، بدأت مجموعة متابعة رجال الجبل تتحرَّك، ولم تكن تبتعد عن بقية القوارب حتى دوى انفجار رهيب، وشاهد الشياطين وقلوبهم ترتعد بالحسرة والغيظ على قاربهم الجميل «صقر البحر» وهو يتناثر إلى أشلاء في البحر، وقد اشتعلت فيه النيران.

تحرَّكت المجموعتان بسرعة، كل في اتجاه الشاطئ على مسافة كافية بينهما، وكانت مجموعة «عثمان» هي السابقة، وكان «أحمد» يضغط على أسنانه بشدة، إن خطتهم كلها تعتمد على ما يحدث في الدقائق التالية.

وصلوا قرب الشاطئ، و«إلهام» تضع منظار الأشعة تحت الحمراء على عينها، وعندما أعلنت ساعاتهم الثانية تمامًا، صاحت «إلهام»: الرجال وصلُوا يحملون شخصًا ملفوفًا بين أيديهم.

قال «عثمان»: لقد نجح التوقيت، وبقيَ أن تنجح الخطة.

قاد «عثمان» المجموعة إلى الشاطئ، وربضوا هناك، وشاهَدُوا شبح ثلاثة رجال صعدوا إلى الشاطئ يحملون رجلًا ملفوفًا، تسلَّمه منهم أربعة رجال، وسمع «عثمان» ورفاقه أصوات ضحكات الرجال، وعرف لماذا يضحكون، كانوا سعداء طبعًا أنهم نسفُوا «صقر البحر» وانتهوا بضربة واحدة من أعدائهم.

وبعد أن تبادل الرجال السبعة بعض الأحاديث. انسحب الرجال الثلاثة إلى قاربهم، وسار الرجال الأربعة يحملون «رعد» بينهم إلى طريق الجبل، وبدأت مهمَّة «عثمان»، قفز مع بقية الشياطين إلى الشاطئ وسار خلف الرجال الأربعة، وعندما بدءوا الصعود إلى الجبل اضطرُّوا للسير في طابور واحد، وهذا ما كان ينتظره «عثمان» فقد رفع ذراعه وبه «بطة» وهزَّها بضع مرات، ثم انطلقت الكرة في الظلام، وسقط آخر الأربعة دون أن يَنطق بحرف ... وتوقَّف الثلاثة الآخرون، ولكن لم يقفوا طويلًا؛ فقد قفز الشياطين الستة عليهم، كل اثنين على واحد، وكان هذا كافيًا للانتهاء من المعركة في لحظات، بعدها رقد الثلاثة بجوار زميلهم الرابع.

وانطلق الشياطين يصعدون الجبل، وبعد نصف ساعة كانوا عند حزام الحراسة الأول المكوَّن من بعض المواطنين، فتجاوَزُوه دون أن يشتبكوا معهم، ثم وصلوا إلى حزام الحراسة الثاني، ومرة أخرى انطلقت «بطة» تصطاد أول حارس. وقفز «بو عمير» و«قيس» على الثاني، و«رشيد» و«زبيدة» على الثالث، وفي دقائق كان حزام الأمن قد تلاشى ... وتقدَّمت «زبيدة» و«ريما» وأخذتا تربطان حزام الديناميت حول البرج الألونيوم في هدوء شديد، ثم ربطتا سلك التفجير، وأخذتا طرفه معهما، ثم ابتعدتا وأشعلتا الفتيل.

في هذا الوقت كان «أحمد» والمجموعة الثانية يُجدفون على مبعدة من القارب الذي كان يحمل الرجال الثلاثة، وكان المنظار الذي تحمله «إلهام» ويعمل بالأشعة تحت الحمراء يقوم بدوره في متابعة القارب. وبعد نحو ربع ساعة ظهر على السطح الأسود للمُحيط طرف الغواصة، وعندما وصل القارب إليها، صعد جزء منها إلى السطح، وهمست «إلهام»: إنها

أكبر غواصة في العالم، كما أنها مزوَّدة بشبكات من الأنابيب الخارجية لم أرَ لها مثيلًا في حياتي.

انفتح سطح الغواصة، وابتلع الرجال الثلاثة بعد أن أفرغوا قاربهم المطاط من الهواء وأخذوه معهم، وبدأت الغواصة تغوص مرة أخرى في المياه السوداء، وجاء دور الشياطين، قفزوا جميعًا إلى المياه ومعهم شحنات الديناميت، وسرعان ما كانوا يُحيطون بالغواصة كما يحيط السمك الصغير بحوت ضخم، وأخذت الأيدي المدرَّبة تربط شحنات الديناميت، كانت كميات ضخمة تكفي لنسف مدينة كاملة، وحسب خطة «أحمد» ... كان عليهم أن يجعلوا الديناميت يؤدي دوره بعد ربع ساعة حتى يتمكنوا من الابتعاد عن دائرة التدمير.

عاد الشياطين إلى القوارب، وبدءوا يُجدِّفون بسرعة، و«أحمد» ينظر بين لحظة وأخرى إلى ساعته، حتى إذا لم يبقَ من الزمن إلا عشرُ ثوان، بدأ العد التنازلي وسمعه الشياطين وهو يصيح في الظلام كأنه مجنون: تسعة ... ثمانية، سبعة، ستة، خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد.

وقبل أن ينطق برقم صفر سمعوا أول انفجار للمجموعة الأولى من الديناميت، ثم توالت الانفجارات وأخذ الماء يتصاعَد في شكل نافورات ضخمة، واكتسحت سطح المحيط عشرات من الأمواج العالية وصلَت إلى القوارب فأخذت تهزُّها بشدة. وفي هذه اللحظة سمع الشياطين صوت انفجار ضخم من ناحية الجبل وشاهدوا النيران تشتعل في جنون من بعيد، وصاح «باسم» لقد انتصرنا؛ نسفنا الغواصة والبرج.

بعد ساعة من هذه الأحداث الرهيبة، وعلى الضوء البعيد للبرج المشتعل، كان الشياطين يتجمعون في الخليج الصغير، وكانت قلوبهم جميعًا تخفق بالفرح والخوف معًا؛ الفرح لإنجاز مهمَّتهم الصعبة، والخوف على «فهد» الذي تركوه وحيدًا في القارب، ولكن خوفهم تلاشى سريعًا عندما شاهدوا الشيطان يسبح كالتمساح مقتربًا منهم.

قال «أحمد»: سنبتعد عن الشاطئ سريعًا، لن نبقى في الأراضي اليمنية؛ فسوف تجري تحقيقات واسعة حول كل ما حدث، وكالعادة نحن لا نَظهر على مسرح الأحداث أبدًا، سنُجدِّف حتى «باب المندب»، وندخل «البحر الأحمر»، وبعدها يُصبح طريقنا سهلًا.

بعد ذلك بثلاثة أيام، ومن المقر السري المؤقَّت في القاهرة صدر تقرير قصير جدًّا، خطير جدًّا، موجه إلى رقم «صفر»: من «ش ك. س» إلى رقم «صفر»: تم القضاء على القوة الغامضة نهائيًّا. تحياتنا.

وابتسم رقم «صفر» وهو يتلقى التقرير؛ فقد وصلته المعلومات منذ تم تفجير البرج المعدني، وظهور آثار تدمير الغواصة قرب جزيرة «سقطرى» ... لقد عرف أن أولاده قد نجحوا، وأن السفن والطائرات العربية ستمرُّ في هذه المنطقة دون خوف من العدو المجهول الرابض في المياه السوداء، الذي كان يحمل في ملفاته اسم «القوة الغامضة».

هنـــداوي